

تأصيل المواطنة بالقيم الدينية
Citizenship in light of religious values

بن ملوكة بلخير

جامعة زيان عاشور الجلفة(الجزائر)benmeloukabelkheir@gmail.com

تاريخ النشر: 2022/12/ 31

تاريخ القبول: 2022 /11/ 07

تاريخ الاستلام: 2022/09/ 10

ملخص:

تعتبر الفروق الفردية، وكل ما هو مكتسب من التنشئة الاجتماعية، مثل الانتماء الطبقي والمهني والمحيط الاجتماعي.... من العوامل المهمة في تشكيل قيم الفرد، إذ أصبح لمؤسسات التنشئة الاجتماعية المنتشرة بالمجتمع دورا ايجابيا او سلبيا في بلورة قيم الافراد اما في الاتجاه الصحيح بما يخدم مصلحة المجتمع او عكس ذلك تماما.

ان من بين اصناف القيم التي لها تأثيرا كبيرا على الفرد، تلك القيم المرتبطة بالدين الإسلامي، لما لها من خصوصيات، تنبع من مصدر شرعي الا وهو القران الكريم والسنة النبوية، تتحدد من خلاله دلالتها، واضفاء عليها منهاج قيمي يتجسد خاصة في الفعل والتفاعل، وهو الناقل للقيم من النص القرآني " الآيات الكريمة"، والسنة النبوية إلى الواقع، وخاصة تلك المرتبطة بالمواطنة وحب الوطن التي تصل لحد التضحية والدود عنه.

فالقيم الدينية الإسلامية بمجتمعنا تتميز بالثبات والديمومة والاستمرارية، ولا ينكراي أحد بأنها ظلت عبر كل العصور الضامن الاساسي للعيش الكريم في ظل تكافل مجتمعي لا نظيره، وحصنا منيعا ضد غزو موجات التشويه التي رافقت الاحتلال ومن بعده العولمة.

الكلمات المفتاحية: القيم، القيم الدينية الاسلامية، المواطنة.

تصنيف JEL : XN1، XN2.

Abstract:

Individual differences, and everything that is gained from social upbringing, such as class affiliation, professionalism and the social environment are considered important factors in shaping the individual's values, as the institutions of social upbringing spread in society have a positive or negative role in crystallizing the values of individuals either in the right direction, including Serves the interest of society or just the opposite.

Among the types of values that have a great impact on the individual, those values associated with the Islamic religion, because of their peculiarities, stem from a legitimate source, namely the Holy Qur'an and the Prophetic Sunnah, through which their significance is determined, and a value system is given to them that is embodied especially in action and interaction, which is The carrier of values from the Qur'anic text "the Noble Verses" and the Prophetic Sunnah to reality, especially those related to citizenship and patriotism that reach the point of sacrifice and defense for it.

Islamic religious values in our society are characterized by stability, permanence and continuity, and no one denies that they have remained throughout all ages the main guarantor of decent living in the shadow of unparalleled societal solidarity, and an impenetrable bulwark against the invasion of distortion waves that accompanied the occupation and then globalization.

Keywords: Values, Islamic religious values, citizenship.

1. مقدمة:

اتفق كثير من المنظرين والمتخصصين أن المواطنة تبدأ أساساً من الانتماء إلى وطن واحد، وتشمل قيمة الحرية المسؤولة والشعور بالأمان، والتي تنعكس في العديد من الحقوق مثل حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية، وحرية التنقل، وحق الحوار بحرية مع الآخرين حول مشكلات المجتمع ومستقبله، والتشاور في أهم القضايا التي تهم المجتمع وإيجاد حلول مشتركة لها.

وقيمة المساواة التي تنعكس في العديد من الحقوق مثل حق التعليم، والعمل، والعدالة وسيادة القانون، والوصول للمعرفة والإلمام بتاريخ الوطن ومشاكله، واحترام حرية وخصوصية الآخرين.

إن المصادر الأساسية التي تتبلور وتنبثق منها قيم المواطنة تلك المرجعيات الوطنية التي يؤخذ منها ما يعتمد في تسيير مختلف شؤون الحياة بالنسبة للمؤسسات والأفراد والجماعات، كالمرجعية الدينية المستمدة من العقيدة "القران والسنة"، وما تقدم من قيم دينية لا حصر لها، إضافة إلى المرجعية التاريخية، كالأحداث التاريخية المرتبطة بالوطن والمتشعبة بقيم الأصالة، التي تشكل سجلاً يحمل ضمن طياته ماضي الأمة القريب والبعيد، من بطولات تضمن وجود ذاكرة تحفظ التوازن واثبات الذات بين الشعوب، والمحصنة للانسلاخ والذوبان في قيم مجتمعات أخرى، إضافة إلى المرجعية السياسية المتمثلة في العقد الاجتماعي.

إذا مبدأ المواطنة هو علاقة تبدأ بين فرد ودولة كما يحددها القانون، أو التاريخ والعادات والتقاليد، وبما تتضمنه تلك العلاقة من حقوق وواجبات ويندرج تحت هذا المفهوم الحرية وما يصاحبها من مسؤوليات وواجبات، والقيم بصفة عامة والقيم الدينية على الخصوص هي المعيار والمقياس لتلك العلاقة بينهما، وبما أن المواطنة تعطي للمواطن حقوقاً اجتماعية واقتصادية وثقافية وقانونية وسياسية.... فإن الضامن لممارستها بطريقة صحيحة هي القيم الدينية لما من خصائص تنفرد بها عن باقي القيم.

لا يمكن تجاهل الدور المهم الذي يمكن أن تلعبه القيم الدينية في تقديم رؤية جديدة تصحيحية للمواطنة لتصبح مواطنة حقيقية.

ومن هنا نجد أن من الأولويات المهمة في بحثنا هذا هي استكشاف الصيغة المناسبة للمواطنة في جوانبها الإيجابية التي تخدم الفرد والمجتمع، من خلال توظيف القيم الدينية المتأصلة في المواطنة، هذه القيم التي أصابها الاضمحلال لأسباب عديدة منها محاربة الاحتلال لها، وانتشار الجهل واللامبالاة، والتشويه الذي تعرضت له من عدة أطراف، والغزو الرهيب المستهدف لها مباشرة لعقود سبقت والمستمر لحد الآن.

أما عن دوافع اختيار هذا الموضوع فهي ذاتية وموضوعية.

بالنسبة للدوافع الذاتية لقد كانت فكرة هذه البحث " تأصيل المواطنة بالقيم الدينية " نابعة من اقتناعي الشخصي بأهمية غرس القيم الدينية ضمن المواطنة، نظراً لدورها التحفيزي النابع من الإيمان بضرورة نشر المواطنة المشبعة بالقيم الدينية، لبناء مجتمع يستمد قوته وضموده واستمراره من قناعات أفرادها القيمية الأصيلة.

أما الأسباب الموضوعية فتتمثل في الأزمات المتشعبة التي يشهدها المجتمع والتي سببت احتقاناً اجتماعياً، وكذا مشاكله المتنامية التي لا تنتهي ولا يمكن إيجاد حلول لها، إذا لم تتضافر الجهود وتتحرك أطراف المجتمع في ظل تأصيل ديني لقيمه، المتجذرة عبر التاريخ، والنابعة من أصالته، والمتسمة بالثبات والديمومة.

ومن هنا تأتي إشكالية المقال كما يلي:

- هل تبني نماذج للمواطنة يعود الى غياب نموذج اصيل مستوحى من القيم الدينية الاسلامية؟ ومنها تطرح عدة تساؤلات تمثلت في اسئلة فرعية كما يلي:
 - ما مفهوم المواطنة وأهدافها؟
 - ما مفهوم القيم الدينية الاسلامية؟
 - ما المقصود بالمواطنة في ضوء القيم الدينية الاسلامية؟
 - ما المقصود بتفعيل القيم الدينية الاسلامية والمواطنة؟
- اما خطة المقال فهي:

1. مقدمة: وهي عامة حول المواطنة والقيم الدينية الاسلامية.
 2. مفهوم المواطنة.
 3. القيم الدينية.
 4. القيم الدينية الاسلامية والمواطنة.
 5. تفعيل القيم الدينية الاسلامية ضمن المواطنة.
 - 6-خاتمة تضمنت اهم النتائج المتوصل اليها وجملة من التوصيات لتطوير المواطنة في ظل القيم الدينية الاسلامية.
2. مفهوم المواطنة:

يشكل الوطن الاصل الذي يصدر منه كلمة المواطنة، لأنه المكان الذي يمارس فيه الفرد نشاطاته وأعماله وتحركاته الفردية والجماعية، فمنذ القدم كان الوطن بالنسبة للقبائل مقرا للإقامة ومكانا للعيش والحياة مما يولد الانتماء للوطن، لذا يجب التفريق بين الوطن الاصلي الذي يمثل هوية الفرد المواطن، ووطن الإقامة الذي تترتب عليه حقوق وواجبات(بن دوبة، 2019، ص12)، "الوطن الاصلي هو مولد الفرد ويشمل البلد الذي هو فيه، ووطن الإقامة هو الموضوع الذي ينوي ان يستقر فيه"(الجرجاني، 1995، ص53)، اذا فمسقط راس الفرد هو المحدد الرئيسي لهويته، فإذا استقر فيه فانه تترتب عن ذلك حقوقا وواجبات، اما اذا تنقل الى مكان آخر فان الهوية لا تتغير بل يكتسب حقوقا وواجبات مرتبطة بذلك الحيز الجغرافي، فالمواطنة مرتبطة بموطن الفرد واستقراره وانتمائه الجغرافي.

تشير فكرة الانتماء الى كون المواطن مرتبط بهوية وطنية خاصة، اهمها الولاء في السلم والحرب، والتعاون مع الافراد الآخرين، والسعي لتحقيق الامان والامن الاجتماعي، وكذلك العلاقة بين الفرد وكيان الدولة المحدد في الدستور والقوانين المتضمنة الحقوق والواجبات، اضافة الى العلاقات الاجتماعية التي تبني على الاحترام والتعامل الاخلاقي المتبادل، وتقديم المصلحة العامة عن المصلحة الخاصة (بن دوبة، 2019، ص16).

اما في بريطانيا فكان هناك تعريفا شاملا ودقيقا للمواطنة تجلى فيما يلي:

المواطنة هي علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون الدولة، وتشمل الواجبات والحقوق في تلك الدولة"، أي ان المواطن يتحصل على حقوق، كما ان عليه واجبات يجب عليه اداؤها (The New Encyclopedia, 2003,p332).

1.2. مؤشرات المواطنة:

هناك أربع مؤشرات للمواطنة تتمثل فيما يلي:

1.1.2. مؤشر الولادة:

ويتمثل في مسقط الفرد، حيث تمنح المواطنة عند الولادة، وتشمل المواليد الاحياء لدى مجموعة سكانية معينة، في حيز مكاني، ينتهي الى حدود ترابية معترف بها محليا وإقليميا وامميا (البياتي، 2003، ص81).

2.1.2. المؤشر السياسي:

ويتجلى في حقوق المواطن الناتجة عن الانتماء السياسي، لأي حزب او تيار سياسي، يعمل على استقطاب شرائح من المجتمع، بتقديمه برامج لمواعيد انتخابية، يقوم بتبنيها وإقناع المواطن بها، ثم وتنفيذها بواسطة منتخبه من المنتمين اليه، في المجتمع.

3.1.2 مؤشر الحقوق:

وينعكس على مستوى القانون، ويقصد بها تلك المبادئ والمعايير الاجتماعية المتفق عليها بالمجتمع، التي تضمن الحقوق الأساسية والتي لا يجوز المس بها، ولها طابع الاستحقاق لكل شخص، وتكون ملازمة له، وتتم حمايتها في إطار المنظومة القانونية المعمول بها، ولها صفة الكلية اذ تطبق في كل زمان ومكان بشكل متساو على كل الافراد.

4.1.2. المؤشر الاقتصادي والمالي:

وذلك من خلال ما يتمتع به المواطن من حقوق التملك في شكل ملكية خاصة، ونسبة مساهمته في ميزانية الدولة بالضرائب والرسوم...، وحرية الممارسة التجارية والصناعية في حدود ما يسمح به القانون، وبما يعود بالنفع على المجتمع (بن دوبة، 2019، ص15).

2.2. دلالات للمواطنة:

تستخدم اليوم عدة دلالات للمواطنة، فيراد بها أحيانا الانتماء لجماعة أو لطبقة اجتماعية أو لأي تكتل سياسي، غير ان فكرة المواطنة تشير في معناها الدقيق الى فكرة الانتماء والمشاركة الاجتماعية والسياسية وحق المساهمة في تشكيل الإرادة العامة.

1.2.2. الدلالة القيمية للمواطنة:

ان الدلالة القيمية المواطنة ما هي سوى قيم اجتماعية وإنسانية وأخلاقية وسلوكية. تنتظم في تفاعل دائم من أجل إعطاء قيمة للمواطنة في واقع الأفراد والدولة عبر ممارسات واقعية في حياة الناس والمؤسسات. فهي ليست مجرد حقوق وواجبات، وإنما هي كذلك ثقافة مجتمعية وآليات ضبط العلاقات يتوجب اكتسابها والتمرس في أداءها.

2.2.2. الدلالة الاجتماعية للمواطنة:

كما ان للمواطنة دلالة اجتماعية من خلال التعايش المجتمعي رغم تنوعه، يجمعها سقف الحقوق والواجبات، والتضامن والتكافل والتعاون في الوطن الواحد، مع التساوي في الحصول على الخدمات العامة دون تمييز، والمشاركة في هذه الخدمات على قدم التساوي.

فالدلالة الاجتماعية تعني حق كل مواطن في الحصول على فرص متساوية في العيش الكريم، ويتطلب ذلك توفير الخدمات العامة للمواطنين، وبخاصة الفقراء والمهمشين، وإيجاد شبكة أمان اجتماعي لحماية الفئات المستضعفة في المجتمع (قريش، 2019).

3.2.2. الدلالة السياسية والقانونية للمواطنة:

ان المواطنة مفهوم معاصر يقوم في معناه العام عند علماء السياسة على مراعاة رابطة الانتماء التي تكون بين الفرد والمجتمع كما جاء في تعريفها في الموسوعة السياسية "بانها صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماءه"، والملاحظ في التعريف انه جعل أساس العلاقة هو الانتماء الذي يترتب عنه مبدأ الالتزام بالواجبات ومزية التمتع بالحقوق، فالانتماء شرط ووسيلة تترتب عنها ثمره الحقوق والواجبات وهذا يتوافق مع المعنى الخاص للمواطنة في اللغة السالف ذكره.

وعند علماء القانون والاجتماع لا تتعدى كونها علاقة قانونية تربط فردا معيناً بدولة معينة، وينتج عن هذه العلاقة استحقاق الحماية التامة من جانب الدولة والخضوع التام لسيادة الدولة بكل مظاهرها، في مختلف مجالاتها التشريعية والتنفيذية والقضائية.

كما ان لها مكانة او علاقة اجتماعية تقوم بين فرد طبيعي ومجتمع سياسي (دولة) ومن خلال هذه العلاقة يقدم الطرف الأول الولاء، ويتولى الطرف الثاني الحماية وتتحدد هذه العلاقة عن طريق القانون (علواش، 2017، 345).

3. القيم الدينية:

ان الدين ظاهرة مميزة لكل المجتمعات البشرية السابقة والحالية والمستقبلية، حسب ما اجمع عليه كبار المنظرين الاجتماعيين، من أمثال دوركايم وماكس فيبر ومالينوفسكي، وغيرهم من المنظرين والعلماء.... فقد عرف عالم الاجتماع الديني الأمريكي "جون مليتون" الدين بأنه "نسق من المعتقدات والممارسات يخول بواسطتها لمجموعة من الناس مواجهة المشاكل الأساسية للحياة الإنسانية"، كما برزت في أعمال "إميل دور كاهايم" و"ماكس فيبر" و"أليكس دي توكفيل" و"روجيه باستيد" و"برونسلاف مالينوفسكي" وغيرهم، ان الدين يحضر في تصوراتهم وفق رؤية فلسفية مشتركة تعتبره كفعل مجتمعي له أبعاد رمزية وتطمينية للمؤمنين، وهي خلاصة عبر عنها بلغة أكاديمية مباشرة عالم الاجتماع والاقتصادي الألماني الشهير ماكس فيبر (1864، 1920) في تعريفه للدين، باعتباره "طريقة تصرف في المجتمع لتحقيق السعادة، والجزاء الاخروي" (الشعيري، 2020).

أما الدين الإسلامي فيتميز بأنه يحمل طابع التشريع الذي يستند إلى الوحي الإلهي، فالخضوع لله عز وجل يتطلب تنفيذ أحكام الشرع، لقد ربط الدين بين الحياة الدنيوية والحياة الأخروية، وهكذا اندمج الدين في الحياة اليومية لان كل التحركات والأنشطة لها طابع العبادة والالتزام تجاه التعاليم الدينية، إن التصور الإسلامي للقيم يظل متميزاً خاصة عن تلك النظريات المرتبطة بالمجتمعات الأولى، فعلى مستوى النطاق الفكري نجد أن القرآن الكريم تضمن عدة حقائق مختلفة عن تلك الافتراضات التي قدمتها مختلف نظريات علم الاجتماع، وهذا ما نهدف لتناول دراسته، تبعاً لأصالة مجتمعنا، وانتماءه الحضاري الإسلامي.

تعتبر القيم مجالاً واسعاً للدراسات الاجتماعية، ففي طيات تلك العلوم لا يستطيع أي باحث أن يعثر على أي سلوك لا يرتبط بإحدى القيم، وبذلك فهي تشكل معالم موجّهة للفكر والتصرفات، اما القيم الدينية فهي القيم المستمدة من الدين، وتكون عبارة عن محك نحكم بمقتضاه على ما هو مرغوب فيه وما هو غير مرغوب فيه، وتتحدد من خلالها أهداف معينة، ووسائل لتحقيق ذلك، كما أن لها جانب معرفي اعتقادي عقلي وسلوكي ووجداني.

وتختلف القيمة من فرد لآخر وفق درجة تمسكه الديني، ووعيه وتكوينه وثقافته، وانتماءه للوسط الاجتماعي الذي نشأ فيه (فاتحي، 2012، ص 610).

ترتبط بالاهتمام بالمعتقدات والتعاليم الدينية، وتتضمن شقا روحيا يتجلى في الإيمان والعبادات، وآخر عملي مرتبط بالسلوك اليومي والعلاقات الاجتماعية (رتيبي، 2009، ص 265)

1.3. خصائص القيم الدينية الإسلامية:

القيم الدينية الإسلامية تتميز بخصائص مستمدة من الدين الإسلامي الحنيف، ومن هذه الخصائص:

1.1.3. الربانية:

فالقيم الإسلامية ربانية المصدر، بمعنى أنها مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله أساسا، وكتاب الله هو من لدن حكيم خبير، وأما السنة النبوية فهي أيضا مستمدة من عند الله على لسانه رسوله الكريم من قول أو فعل أو إقرار، أما المصادر الأخرى كالإجماع والاجتهاد، فيجب أن تكون محكومة بالمصدرين الأساسيين ولا تناقضهما، ويمكن اعتبارها قيما ربانية، لأن أصلها شريعة الله وسنة نبيه.

ويتضح مما سبق كون القيم الإسلامية ربانية المصدر، فهذا لا ينفي دور العقل في الاجتهاد ضمن حدود شرع الله، ومنهاج السنة النبوية وان لا يتجاوز حدود الله، وبحيث يكون عمل الفكر البشري أساسا التلقي وإدراك أساليب التطبيق في واقع الحياة (عزوز، 2011، ص 264).

2.1.3. الثبات:

والثبات هنا لا يعني الجمود، بل خاصية الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت، إذ أن هناك ثبات في مقومات التصور الإسلامي وقيمه الذاتية، فهي لا تتغير ولا تتطور حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية وأشكال الأوضاع العملية، فهذا التغير يظل محكوما بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور، ولا يقتضي هذا تجميد حركة الفكر والحياة، ولكنه يقتضي السماح لها بالحركة، ولكن داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت.

3.1.3. الشمول:

فالقيم الإسلامية تتمثل فيها صفة الشمول من نواح عدة:

فهي شاملة لكل ما يصلح الفرد والمجتمع، ولجميع جوانب الحياة الإنسانية، وهي شاملة لكل العلاقات التي تربط المسلم بغيره، سواء علاقته بربه أو بالمسلمين أو غير المسلمين أو علاقته بالحيوان والجماد وجميع مخلوقات الله، كما أنها شاملة في تلبيةها لحاجات النفس والعقل والوجدان والجسد (العاجز، 1999، ص 14 و 15).

4.1.3. التوازن:

فهناك التوازن والوسطية وعدم الإفراط أو التفريط، وهذا التوازن يظهر بمظاهر شتى.

2.3. شروط القيم الدينية الإسلامية:

كما أن للقيمة في الإسلام شروطا أساسية لا يمكن أن يتصور وجود القيم بدونها ومنها:

1.2.3. الإيمان بالله:

الإيمان بالله تعالى، فلا شك أن الإيمان بالله تعالى، وملائكته وكتبه ورسوله، واليوم الآخر، شرط جوهري للقيمة، بل هو

الشرط الأول يقول الله تعالى " وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (سورة المائدة، الآية 5).

2.2.3. حرية الإرادة:

فمن البديهي أن تكون حرية الإرادة شرطاً للفضيلة، أو القيمة الخلقية.

3.2.3. صدق النية:

فالنية شرط لقبول الأعمال، وهي التي يخصص بها المسلم كل أعماله.

4.2.3. الخيرية:

وهي اتجاه الفعل إلى تحقيق الخير للآخرين، ممن ليسوا من الأهل.

5.2.3. الممارسة الفعلية:

الممارسة الفعلية هي العمل الذي يكفل للفعل تمام قيمته بحيث يصبح فضيلة تامة، ولذلك فإن القرآن الكريم والسنة النبوية يعلمان من قيمة العمل في الإسلام ويقرناهما دائماً بالإيمان، ولكن لا قيمة للعمل في الإسلام إذا لم تتوفر فيه الشروط الأخرى الجوهرية، وهي التي سبق الإشارة إليها أعلاه (المرزوق، 2014، ص 15 و16).

4. القيم الدينية الإسلامية والمواطنة:

ارتبطت المواطنة تاريخياً بالمعتقد الديني، من خلال المقولة المتوارثة "حب الوطن من الإيمان"، والتاريخ يثبت مساهمة المعتقدات الدينية في بلورة المواطنة، فالمعتقد الديني يعتبر ضرورة طبيعية ومجتمعية، لا يكون التوازن الفردي الاجتماعي إلا من خلاله.

إن الدين لا يتعارض مع مبدأ المواطنة، بل يعبر من خلال القيم الدينية، وخاصة بمجتمعنا تلك القيم النابعة من الشريعة الإسلامية، عما تتضمنه من التآلف والتضامن والتكافل والتلاحم (بن دوبة، 2019، ص 19)

إن التغيرات المتسارعة التي يعيشها العالم، أدت إلى عدم إدراك الأفراد التمييز الواضح بين ما هو صواب وما هو خطأ، وبالتالي أضعفت قدرتهم على الانتقاء والاختيار من بين القيم المتصارعة الموجودة، وعجزهم عن تطبيق ما يؤمنون به من قيم، كل هذا أدى إلى حدوث أزمة قيمية، كان لها أثر كبير في الدفع نحو التمرد، والثورة على قيم المجتمع، والشعور بالاغتراب شبه التام عن المعايير المجتمعية بصورة واعية أو غير واعية، بسبب موجات عالمية متلاحقة في أحداثها ومنجزاتها، كان لها تأثير كبير على ذلك، لقد ظهرت العولمة في العصر الحديث مستندة على أسس اقتصادية تمثلت في الشركات الاقتصادية العملاقة عبر القارات، والتي لم يعد لها وطن محدد، بل صار العالم كله وطناً وميداناً لنشاطها، يدور ضمن نظام اقتصادي عالمي واحد، غير أن العولمة لم تعد تقوم على أبعاد اقتصادية فقط، بل تمددت لتمس جوانب أخرى من حياة العديد من المجتمعات.

إذن يمكن أن نذكر أن العولمة تتمثل في كونها نظرية اقتصادية في المنطلق، سياسية، اجتماعية، ثقافية في النتائج، هدفها فتح الأسواق الاقتصادية، وتطبيق سياسة السوق فيها بإقرار حرية تنقل رأس المال والبضائع والخدمات بين الدول دون أية قيود، وفتح الحدود الوطنية في عدة مجالات، والترويج لثقافة نمطية عالمية واحدة.

من المؤكد أن للعولمة تأثيراتها الفعالة على المجتمعات المعاصرة، سواء المتقدمة منها أو النامية، وتتمثل أبرز تأثيرات في الجانب الاجتماعي، بمحاولة تكوين شخصية مغايرة، متكيفة مع نظام عالمي تحكمه قوة مهيمنة، إذ سعت العولمة إلى محاولة القضاء على الإرث الإنساني المقدس للعرب والمسلمين وذلك من خلال العمل على تعميم القيم الغربية، ومحاربة القيم الدينية الإسلامية، قصد السماح بالذوبان في النموذج الحضاري الغربي (محمد، 2003، ص 07 و08).

أما أهمية القيم الدينية الإسلامية للمواطنة فتتمثل في حكمة الله عز وجل ان يستخلف الانسان في اعمار الأرض، فان تمسكه بقيم المواطنة، انما هو جزء هام نحو تحقيق أكمل لمعنى الاستحلاف، وكما يقول تعالى "والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو انشاكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب" (سورة هود، الآية 61)، لان منبعها من دين الإسلام العظيم، ولا شك إذا كان هذا منبعها ان تنشئ انسانا صالحا يمتد صلاحه لوطنه ولجميع اوطان المسلمين، وبهذا تصبح المواطنة الصالحة شعارا للمجتمع بأكمله فيتحقق الإخلاص له، وتؤدي الواجبات وتصان الحقوق العامة والخاصة.

وتأسيسا على ما سبق فيمكن اجمال أهمية قيم المواطنة الصالحة في الإسلام وهي:

ان القيم الدينية هي التي تنظم حياة الانسان في كل المجالات، وعلى ذلك فقيم المواطنة تمثل احكاما يحتكم اليها الناس في تعاملهم وعلاقاتهم ببعضهم البعض، ليعيشوا في خير وسلام ووثام وتراحم، وحق وعدل وخير فيسودهم الامن والرضا والمحبة والاطمئنان، كما انها موجّهات للسلوك الإنساني ومعايير يزن بها الانسان نشاطه وفكره ودوره في الحياة، وهي قيم ضرورية ومطلب السياسي لاستقرار الأوطان والمجتمعات وتماسكها، إضافة الى انها تعزز صورة المجتمع، حيث انها تعمل على التحرر من التعصب والتحيز بجميع اشكاله الطائفية والمذهبية والعرقية والإقليمية، وتشكل الحجر الأساس في أي تنمية سياسية او اقتصادية او اجتماعية او غيرها(سرور، 2012، ص492).

5. تفعيل القيم الدينية ضمن المواطنة:

ومن الثابت أن هناك جانبين للقيم، قيم المحور المتمثلة في القيم الدينية بما يشتمل عليه من قيم وميراث ثقافي وحضاري، وتعتبر ثوابت مميزة لهوية المجتمع العربي والإسلامي فلا يعترها أي تغيير، أما الجانب الثاني فيتمثل في قيم التفاعل الحضاري والعمل والإنجاز، وهي قيم وسيليه يعترها التغيير طبقاً لمستجدات العصر، ومن هنا تتمثل خطورة الغزو القيمي في التأثير على قيم المحور، وذلك من خلال نشر الثقافة والفكر الغربي عبر العديد من الوسائل التكنولوجية، التي يعمل على محاولة تغيير معتقدات وقيم وتقاليد راسخة منذ القدم، ومحاولة إقناع أن الذي يتمسك بقيمه إنما يتعارض مع التقدم العلمي والفكري ونهضة العقل(محمود، 1982، ص160).

كما أن القيم السالبة التي انتشرت في المجتمع أعاقَت الإبداع وأفرغت المعرفة من مضمونها التنموي والإنساني، حيث ضاعت القيمة الاجتماعية للعالم والمتعلم والمثقف وحتى المواطن العادي، كما أن التعليم فقد قدرته على توفير الإمكانيات التي تتيح للفقراء الارتقاء الاجتماعي، وباتت القيمة الاجتماعية العليا للثراء والمال، بغض النظر عن الوسائل المؤدية إليها، وساهم القمع والتهميش في قتل الرغبة في الإنجاز والسعادة والانتماء، مما أدى إلى سيادة الشعور باللامبالاة والاكنتاب السياسي، وبالتالي ابتعاد المواطنين عن الإسهام في إحداث التغيير المنشود في الوطن، ولم يعد الإنسان الحديث المنتج الفعال هو مثال المواطن المنشود، وبالتالي كان من الطبيعي أن تعاني الثقافة وإبداع المعرفة معاناة حقيقية، وهذا معناه أن الشباب العربي في حاجة ماسة إلى تمثل قيم جديدة كالمثابرة والصبر على العمل والإصرار والابتكار والتضامن والتضحية...

فهذه المظاهر كلها جاءت نتيجة حتمية العلم دون اعتبار للدين والإيمان والأخلاق، ولا يخفى خطورة مثل تلك الأمور التي قد تؤثر على شبابنا في قيامهم بأي أعمال حتى ولو كانت تعتمد على العلم، لان لا يحكم تلك الأعمال أي قيم أو معايير، بل يكون هدفها فقط هو الحصول على النتيجة النهائية لذلك وهو التراكم المالي، وهنا ازاحت القيم المادية تلك الاصلية التي تجذرت لسنين.

ومن هنا يجب العمل على تنمية بعض القيم التي تؤمن بأهمية العلم كقيمة، والاهتمام بالتفكير العلمي، وأهمية استخدام العلم الاستخدام الأمثل، وخاصة في إطار التعامل الاجتماعي ومع البيئة وضرورة حمايتها وترقيتها، والإيمان بقدره العلم على الانتقال بالمواطنين من التخلف إلى التقدم، وهذا أمر هام في الوقت الحاضر في ضوء الإحباطات نتيجة عدم اهتمام المجتمع بالتعليم الاهتمام الكافي، وعدم إيمان بعض أفراد المجتمع بقدره التعليم على إحداث التغيير الاجتماعي (الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي 2003، ص 141)، ان ما تمت ملاحظته وبكثرة في المجتمعات العربية والإسلامية وخاصة الجزائر، التراجع المستمر حتى درجة الغياب لنماذج الشخصيات الإسلامية، التي كان لها بصمة تاريخية عريقة في الحث على العمل بالقيم الدينية، والذين جسدوا بمواقفهم وخصالهم ومعاملاتهم الحسنة لهذه القيم على ارض الواقع، وبحضور هؤلاء العلماء والشخصيات العظيمة في المناهج الدراسية من شأنها ان تجعل منهم قدوة للتلاميذ والطلاب وافراد المجتمع في حياتهم اليومية، مما يؤدي بالجميع في نهاية المطاف الى السير على خطاهم والافتداء بأفعالهم.

وتسبباً لذلك فانه من الأفضل الاستعانة بوسائل الاتصال ودمج تكنولوجيتها خصوصا في مشاهدة الأشرطة الدينية، والحرص التثقيفية التي تدور حول مآثر العلماء والاجداد الصالحين، مع نشر تفاسير القران الكريم وخاصة التي تامر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى عمل الحسنات والابتعاد عن المنكرات، وذلك حتى يتسنى للأفراد ربط القيم الدينية بالواقع المعاش.

كما يستحسن تنظيم ندوات من طرف الائمة في المدارس، حتى يتم التعرف أكثر على مجال القيم ودورها في علاج الظواهر السلبية التي تؤدي في الكثير من الأوقات الى انحرافات سلوكية تضر بمكونات المجتمع، ان هذا التفعيل يكتشف من خلاله الناشئة وافراد المجتمع الآخرين، دور المسجد في علاقته بالمحيط وخاصة مؤسسات التنشئة الباقية.

من هنا يتضح بان هناك ارتباطا وثيقا بين قيم الدين الإسلامي والمواطنة، مما يؤدي ان تساهم القيم الدينية في ترسيخ صحيح وعميق قيمها الثابتة والدائمة في تربية الافراد،/ تربية صحيحة سوية، قائمة على حب الوطن والولاء له والتضحية من اجل بناءه، والعمل لأجله وللجميع، مما يجسد ثقافة التالف والتكاتف والتعاون ونكران الذات، والاتصاف بصفات المواطن الصالح المفيد لمجتمعه، مع الانتباه الى اتباع أساليب الحماية والوقاية من الغزو الخارجي، وقيمه المشوهة، وخاصة مع التطور التكنولوجي الكبير في وسائل الاتصال الحديثة، والتي لها تأثيرات كبيرة مضرّة أكثر من النافعة، والتي يجب التحصن من اضرارها، والاستفادة من منافعها، قدر المستطاع (بركات، 2020، ص 154).

ولعل أهم السلوكيات التي يتطلّبها هذا التقدم التكنولوجي الهائل هو تقدير قيمة الوقت وقيمة النظام والتنظيم والتخطيط السليم، وتحمل المسؤولية في إدارة شؤون الحياة ومجالاتها، بدء من محيط الأسرة إلى موقع العمل إلى المشاركة في الحياة العامة.

6. خاتمة:

لا احد ينكر بان القيم الدينية تصب كلها في حب الوطن، وتحت على تعزيز الانتماء إليه، كما تم الإشارة إليها، لذا فانه بالإمكان أن تبنى المواطنة في المجتمع على أسس علمية بشكل منظم، تحت اشراف مؤسسات المجتمع المختلفة، مع السهر على حمايتها واستمرارية العمل بها، وذلك من خلال تعريف المواطن بالعديد من مفاهيم المواطنة وخصائصها على أساس ديني،

وهناك العديد من المؤسسات الاجتماعية التي يمكنها أن تساهم في تشكيل المواطنة وتنميتها عند الفرد، ومنها الأسرة، والمؤسسات الدينية، غير أن المدرسة تنفرد عن غيرها بمسؤولية كبيرة في تنمية المواطنة، وتشكيل شخصية المواطن وتقوية انتمائه لوطنه، وفي تزويده بالمعرفة والمهارات اللازمة من أجل ترسيخ المواطنة الصالحة في نفسه، من خلال المناهج الدراسية التي تبدأ في مراحل العمر الصغرى، وتستمر حتى بقية المراحل العمرية.

ان من بين التوصيات التي يجب العمل على ايصالها هي:

تضمين قيم المواطنة الصالحة والاصيلة النابعة من الدين الاسلامي في المقررات الدراسية لكل المراحل الدراسية.

العمل على وضع منظومة قيمية اصيلة تهدف لإعداد المواطن الصالح النافع لنفسه ولوطنه ولأتمته.

نشر بقوة ووعي لقيم الاعتزاز بالوطن بالتضحية من اجله، والدفاع عنه.

والتضامن واحترام حقوق الافراد،

ادراك التوجه نحو الإنتاج المثمر، واضعا امامه ومطبقا لقيم الانتماء لأرض الوطن، والتي تنعكس حتما في تنمية وتفعيل قيم المواطنة وجعلها راسخة في نفوس الأفراد، لتظهر بعد ذلك جليا في الحياة الاجتماعية من خلال ممارسات حقيقية، لذلك وجب ربط المقررات الدراسية بالمجتمع وخصوصياته ومشكلاته، حتى يحدث هناك تناسق بين أهداف المدرسة والتي تستمد من الأهداف العامة للمجتمع من مرجعيات مختلفة وعلى رأسها الدينية، وبين جدار مقاوم مجتمعي صلب، يتم من خلاله مواجهة غزو العولمة ورهاناتها من جهة أخرى، لأن قيم المواطنة اذا ما صيغت بشكل مباشر في جميع المناهج بالمجتمع ستترسخ في اذهان الأفراد والجماعات بشكل يجعلها تساهم في التنمية الشاملة بمختلف أبعادها، بالمحافظة على الأمن والاستقرار الاجتماعي.

ان الاعتماد على مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تنمية قيم المواطنة والمحافظة على تفعيلها الدائم أصبح أمرا ضروريا، قصد تفعيل ما يسمى بالوقاية الاجتماعية لتظهر بعد ذلك جليا في الحياة الاجتماعية من خلال ممارسات حقيقية.

ان مواضيع تنمية المواطنة يجب أن تصاغ بشكل مباشر في جميع جوانب المجتمع، ليست كمادة تدرس وإنما كسلوك يجب أن يتفاعل معه الجميع، لتكريس مفهوم الانتماء والولاء الوطني ليكون سلوكا وممارسة، وليس مواد نظرية تدرس بعيدا عن الواقع.

ومع ذلك لا يمكن فقط الاقتصار على طرف واحد فقط، بل المسؤولية يجب ان تكون جماعية على عاتق المجتمع، الوالدين، المرين، والمجتمع بمؤسساته الرسمية وغير الرسمية، لأن قضية تنمية المواطنة والمحافظة على الاستقرار الاجتماعي قضية الجميع.

6. قائمة المراجع:

الكتب:

1. زكي نجيب محمود، ثقافتنا في مواجهة العصر، ط3، دار الشروق، 1982، القاهرة، مصر.
2. شريف الدين بن دوبة، المواطنة مفهومها وجذورها التاريخية وفلسفتها الدينية، ط1، 2019، بيروت، لبنان.
3. الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، 1995، بيروت، لبنان.
- 4- فراس عباس البياتي، علم اجتماع السكان، دار الجيل للنشر والطباعة، 2003، بغداد، العراق.
5. الفضيل رتيبي، المنظمة الصناعية بين التنشئة والعقلانية، الجزء1، بن مرابط للطباعة والنشر، ط1، 2009.المحمدية، الجزائر.

6. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003، نحو إقامة مجتمع المعرفة، المكتب الإقليمي للدول العربية، الأردن،
7. The Encyclopédia, Volume3, micropaedia, Library of congress, 15th édition, 2003, USA.

الاطروحات:

1. عبد الناصر عزوز، أثر البث الفضائي التلفزيوني في تغير القيم الأسرية، مذكرة رسالة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر 2.

المقالات:

1. محمد فاتحي، التربية على قيم المواطنة والسلوك المدني، التربية على القيم المرجعيات والمقاربات، مجلة عالم التربية، العدد 21، منشورات عالم التربية، الجديدة، المغرب، 2012، ص 610.
2. مسعودة علوش، المرتكزات القيمية للمواطنة في ضوء مقاصد الشريعة، حوليات العدد 31، الجزء الثاني، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 2017، ص 345.
3. عبد الرازق إبراهيم محمد، القيم لدى شباب الجامعة في مصر ومتغيرات القرن الحادي والعشرين، مجلة التربية المعاصرة، رابطة التربية الحديثة، العدد 64، القاهرة، مصر، 2003، ص 07 و 08.
4. عمار بركات، تفعيل المواطنة في التربية الإسلامية، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد 9 العدد 1، جامعة وهران 2، الجزائر، 2020، ص 154.
5. فاطمة محمد سرور، دور مناهج التربية الإسلامية المطورة في تنمية قيم المواطنة لدى طلاب المرحلة الأساسية العليا من وجهة نظر المعلمين في تربية اربد الثالثة، مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد 39، العدد 02، عمادة البحث العلمي وضمن الجودة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2012، ص 492.
6. فاطمة الزهراء تنيو، أي دور للإعلام الجديد في تعزيز قيم المواطنة، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات العدد الثالث، أفريل جامعة جيجل، 2018، ص 48.

المدخلات:

1. العاجز فؤاد علي وآخرون، القيم وطرق تعلمها وتعليمها، مؤتمر القيم والتربية في عالم متغير، 1999، كلية التربية والفنون جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

مواقع الانترنت:

1. إحسان عبد الله المرزوق، دراسة حول القيم ومظاهرها السلوكية، الكويت، ط3، 2007، موقع بيت القيم، www.qeyamhome.net، بتاريخ 2019/05/19، ص 15 و 16.
2. عبد العزيز قريش، مفهوم المواطنة وحقوق المواطن، موقع: www.oujdacity.net، تاريخ 2019/01/15.
3. عبد الرحمن الشعيري، دراسة حول ما هو الدين؟، مركز ضياء للمؤتمرات والأبحاث، مارس 2020، موقع: <https://www.diae.events/postid=83405>.